

القسم الثالث :

## فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزي بك

—&gt;&gt;&gt;&lt;&lt;&lt;—

إن العالم الإسلامي في يقظته وفي كفاحه مع الاستعمار البريطاني والأوروبي والصهيوني يواجه ثلاث هيئات اتحادية : الاتحاد السوفييتي في الشمال والاتحاد الفرنسي في المغرب والاتحاد الهندوكي في الهند . وكل اتحاد منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية<sup>(١)</sup> يصيغها بصيغة التحرر<sup>(٢)</sup> ويريد كل منها أن يقنع العالم أن هذا الاتحاد أو انضم جاء وليد إرادة شعبية ، وأنه في مصلحة هذه الأمم وفي الهند يأخذ الاتحاد شكل حركة قومية كبرى . ولو كان الأمر قاصراً على المناطق التي يسود فيها الروس والفرنسيون والهندوس لما أثار ذلك اعتراض أحد من الناس .

ولكن الباحث المدقق لا تغريه الألفاظ والمظاهر ، إذ يتبين له أن كلامها يتزعزع أقطاراً شاسعة ويحاول أن يضم أمماً إسلامية لا تمت بصلة إلى الاتحاد الذي يفرض نفسه فرضاً عليها ولذلك لا تلبث أن تنكشف حقيقة هذه الأنظمة الاتحادية حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، إذ تبدو لنا هذه الأنظمة في ثوب قوات رجعية<sup>(٣)</sup> تمسقية<sup>(٤)</sup> ، لا تمتح للمسلمين حربتهم

(١) progressiste (٢) emancipation .  
(٣) retrograde (٤) aggressif .

تعرف من ستقابل ، وقيل لها وهي في طريقها إليه : «أى أم علقمة والله لو وافقت في المذهب لنجوت من أذاه» فقالت : « قد ضللت إذأ وما أنا من المهتدين » .

وجاءت ديوان الحجاج وقد استحال كل ما فيه إلى وجوم ، ووقفت وهو جالس فأنهرها قائلاً : «لقد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط المشواء» . فقالت : «لقد خفت الله خوفاً صبرك في عيني أسنر من ذباب» وكانت منكسة . فقال : « ارفعي رأسك وانظري إلى » فأجابت : « أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه » . قتلها .

( البقية في السد القادم )

صنيفة الكيلوني

وحقهم في تقرير مصيرهم ، بل تجعل للتحكم والسيطرة والاستغلال الاقتصادي شكلاً جديداً برآقاً لا يقتر به إلا الواهمون .

فالاتحاد الفرنسي يحاول بقوة التشريع ضم أراضي شمال أفريقية وسكانها وهم أكثر من عشرين مليوناً ، لهم تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم ، بدون أن يسمح لهم بأبداء رأي في هذا الاتحاد ، والاتحاد السوفييتي يضم أكثر من أربعين مليوناً من المسلمين الآسيويين لا يسمح لهم صوت ولا يسمح لهم بالاتصال بالعالم الخارجي ، والاتحاد الهندي يمنع إنشاء دولة الباكستان الإسلامية ولا يسلم بها .

ولا يمكن للمغرب في أفريقيا والمسلمين في آسيا قبول وضع من الأوضاع يجعل منهم أقلية في بقعة من بقاع الأرض : لأن محارب الماضي كانت شديدة الوقع عليهم ، ولذلك فهم لا يسلمون إلا بقدر أن تتحكم فيهم مرة أخرى ، ثم هم أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الكوكب الأرضي ، وهو تاريخ حافل بأيام الدراك والكفاح والنصر والمزمنة ، وهو في قوته وبروزه وأثره ، لا يمكن أن يقارن بتاريخ أى أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها في الحضارة ، وقد أتق علينا هذا الماضي درساً قاسياً لا يمكن أن ننساه ، فنحن قد فقدنا ملايين من العرب في إسبانيا وجزائر صقلية وسردينيا وكريت ومالطة ، كانوا عرباً دخلوا هذه البلاد واستوطنوها ، ثم زالت أيامهم فأدمجوا بالسيف في جنسيات وأديان أخرى ، ولا تزال دماء المروبة في عروقهم إلى اليوم ، وهناك ملايين من المسلمين كانوا سادة في القرم ورومانيا والبلقان فأين هم اليوم ؟ إنهم يوم أن أصبحوا أقلية أفنام الظلم والاستبداد .

ولمذا فكل اتحاد يفرض بالقوة على أقطار المغرب وشعوبه العربية ، ويحاول بينهم وبين جامعتهم هو حركة استعمارية رجعية تمسقية تستهدف إفناء المروبة والإسلام والوقوف أمام نهضة الشعوب العربية في مراکش وتونس والجزائر وإضعافها كقوة فعالة في تاريخ العالم . ولذا وجب على كل فرد منا أن يفهمها على حقيقتها وأن يشعر بالأخطار التي تهددنا من هذه الناحية ، وأن تحشد كل مالدينا من القوى الروحية والمقلية للوقوف أمامها حتى يشعر العالم أجمع أنه ليس في عزمنا نحن معاشر الأمم الإسلامية والعربية أن نقتي بهذه السهولة من الأرض فتذهب ربحنا لدى الصدمة الأولى .

\*\*\*

الفرنسية هي الرجل المريض الذي تحشى الدول الغربية وقاته ، وإذامن أعباء الرجل الأبيض ممثلاني الحكومات الانجلوسكسونية بريطانيا وأميركا ؛ حياية امبراطورية مريضة في حالة النزاع ، والمحافظة على وحدتها ، وأحيانا بجمالها على حساب حرية الأمم المغلوبة على أمرها .

إن الأسلحة والمدات الحربية التي تسلمتها من هذه الدول لم يستعملها في قتال الألمان وتحرير البلاد منهم ، وإنما وجهت إلى صدور الشعوب المظلومة في مدغشقر والهند الصينية ، وهذا القناد سيستعمل يوما ضد أمم العروبة في المغرب ، فما التمن الذي قبضه الرجل الأبيض ؟ : هو تحطيم السور الفولاذي حول المستعمرات أمام نشاطه وفتح حدودها واعتبارها أسواقاً تجارية له ، وماذا كسبت فرنسا الأمم الخنون ؟ كسبت المجد الدائم وهو أن تمر العمليات بطريق باريس بدلاً من أن تتجه رأساً إلى أراضي المستعمرات ، وفي سبيل ذلك يسلم الرجل الأبيض ببقاء فرنسا مدة أخرى في شمال أفريقيا محتفظاً لنفسه بحق الرجوع مرة ثانية إليها إما لتحريرها أو للمساعدة في تهديتها .

\* \* \*

في الوقت الذي كان رجال فيشي يفضلون فيه التضحية بأراض من فرنسا محافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية ، كان الفرنسيون الأحرار يفكرون تفكيراً استعماريًا من نوع آخر ، فقد عقدوا قبل نهاية الحرب مؤتمراً لهم في مدينة برازافيل بأفريقيه جمع عدداً من حكام المستعمرات تبادلوا الرأي فيما بينهم وأخذوا قرارات بشأن سياسة المستقبل بعد أن استعرضوا مسائل هامة : منها العمل على رفاهية السكان الوطنيين ورفع مستواهم المادي مع تحسين حالتهم الاجتماعية والفكرية ، وعرضوا المسائل التعليم وأثر الدين وتوزيع العدالة ، ثم بحثوا مسائل الحكم الذاتي والإدارة المباشرة وغير المباشرة ، واتخذت قرارات سرية نحو وحدة الامبراطورية والسير بها في طريق الاتحاد الفرنسي ، وهذه القرارات هي التي نقلوها معهم إلى الجزائر وأدجوها في مشروع الدستور الجديد ، فعلى الذين يدرسون هذا الاتحاد أن يرجعوا إلى بحث قرارات هذا المؤتمر الاستعماري وسنأتي على شيء من ذلك في القسم التالي .

أحمد رمزي

ولقد عرضنا في القسمين المتقدمين لمصاعب الاستعمار الفرنسي ولسنا تأخره عن ملاحقة العالم ، وكشفنا عن إفلاس فرنسا كدولة حاكمة ، وقلنا إن هذه الأمور جهر بها كتاب الغرب وسلم بها الفرنسيون أنفسهم أو فريق منهم ، وكنا تقدم للقارىء ما يجوز بنفسية الفرنسيين من آمال وسط هزائمهم وبعد أن ظهر للسيان تصغيرهم ، وكنا نرى بهذا أن نضع الحقائق مجردة أمام القارىء حتى يكون على علم بأقوال الخصم ، وما يدخلها من غمور ووعيد وغابتنا من ذلك أن يفهم العالم العربي أن محاربة الاستعمار تستلزم الوقوف على أساليبه والالام بطرقه وأن الدول الناصبة مهما كانت سياستها فاشحة ومع ما بين أيديها من وسائل القمع ، تحاول أن تفرغ هذه السياسة في قالب يقبله العقل ويسلم به ، فعلى الذين نصبوا أنفسهم للجهد أن تنسج سدورهم لأقوال الخصم وأن يروضوا أنفسهم على الحقائق وإن كانت مرة ليتسنى لهم تحقيق ما رسموه لأنفسهم ومبادئهم من أهداف .

والدول الاستعمارية لا تفهم ما نقرره لأنفسنا بل لاتسلم به ، وإنما لديها المنظمات التي توافها بكل صغيرة وكبيرة عنا ، وهي لا تتوى أن تتنازل عن أملاكها ومستعمراتها أو تفرط في حق من حقوقها ، إلا بالقدر الذي تنتزعه الشعوب منها ، وهذه في تقدمها وسيرها نحو الوعي القوي واليقظة تؤمل في أن تشيع بالحقائق ، حتى لا تذهب جهودها وضحاياها هباءً ، ثم هي تروم أن تحقق لها مجدداً وأن تسير في طريق التحرر والخلاص وأن تسالج مشاكلها على ضوء العلم ووضع الأمور في نصابها ، فعلى التصديرين للحركات العامة أن يهيئوا أنفسهم للقيادة ، ولا يكون ذلك بغير السلم والبحث والدرس ، وتبع الدول الاستعمارية والكشف عن أغراضها ومصامها والوقوف موقف الحريص على حقوق هذه الشعوب بل موقف التيقظ للدفاع عنها أمام الضمير المالى .

وقف في القرن الماضي بعض كتاب الانجليز يتحدثون عن أعباء الرجل الأبيض ومسئولياته إزاء الشعوب المهكومة فقالوا إنه يحمل عبئاً ثقيلاً هو قيادة هذه الشعوب نحو الحضارة والتقدم ، وفي نفس الوقت أطلق كتاب أوروبا على دولة آل عثمان اسم رجل أوروبا المريض . فمن كان ينتظر بمد مضى سنوات أن تتبدل أحوال الكون وأن تصبح الأوضاع مقلوبة ؟ فإذا بالامبراطورية